

لنكافح من أجل جلاء قوات العدوان الامريكيِّ عن الوطن العربيِّ

هذه مراجعة لعدد من الأحداث الراهنة التي شهادتها الساحة العربية،
الصلة الخاصة وبساطة هذه السنة، أن أول خاتمة ترسو عن هذه الساحة
هي المدراء السبع، وعلى أكثر من واحدٍ من النقاد والكتاب
يختلفون مع الترجيحات الغربية، بالطبع الصادقة،
وهي السيادة الوطنية للجماهيرية القذافية في كلٍ من
القارات، وصولاً إلى القمع الوحشي المتعمد الذي يطال
العاصمة، حفروا بضم عرتقات العولان السريع كالنار.

- ★ لا لتطبيع التطبيع المصري - الاسرائيلي
- ★ لنطالب بطرد النظام المغربي من لجنة القدس
- ★ لنعمق المبادرات النضالية الوحدوية في اتجاه تعزيز
الكافحات الجماهيرية، وتعميقيها وتوسيعها

حقائق الوضع العربي وشروط النهوض القومي

ان ابراز السمات الرئيسية للوضع العربي الراهن، يستلزم أولاً وقبل كل شيء، عودة سريعة لعدد من الاحداث الهامة التي شهدتها الساحة العربية منذ منتصف السنة الماضية وبداية هذه السنة. ان أول حقيقة تبرز من هذه المراجعة، هي التعميد العدوانى البشع، وعلى أكثر من وجهة، للسياسة الاميرالية الصهيونية، بتحالف وثيق مع الرجعيات العربية. فالقصف المستمر للاراضي اللبنانيّة، وخرق السيادة الوطنية للجماهيرية الليبية في خليج سرت، وتحطيم المقاوم النبووي العراقي، وصولاً الى القمع الوحشي العنصري الموجه يومياً ضد الشعب الفلسطيني الصامد، مروراً بضم مرتفعات الجولان السورية .. كلها علامات سوداء تبرز هذا التعميد العدوانى المكشوف على الواجهة العسكرية. أما على الواجهة السياسية، فان اليم الاساسي والشغل الشاغل للتحالف الاميرالي الصهيوني الرجعي، كان ولا يزال، هو انقاذ كامب ديفيد واخراجها من المأزق الذي وصلت اليه، سواءً كان ذلك بلباس سعودي غير مشروع فهد، او بلباس اوروبي، او ما يسمى بالمبادرة الاوروبية، او عبر الحل الاردني او مشروع آلون القديم - الجديد، وغيرها من مشاريع التصفية ..

١- الخطوة العدوانية الامريكية

لقد تمكنت الاميرالية الامريكية من قطع خطوات واسعة على طريق

سط الخائن السادات، بركر التحالف الامبرالي الصهيوني الرجعي خطبه الان على كسر الحصار المضروب على النظام المصري، وفك عزلته العربية والانطلاق من الطبع الاسرائيلي - المصري، كامر واقع وكار منه لاستمرار النسوية.

ان محمل هذه التوجهات تدرج في اطار شامل يتحدد في رغبة أمريكا في حلق واقع مفروض لا رحمة فيه. فمحمل التحركات الامريكية، سياسية او عسكرية ليسفي كلها في ضرورة حلو منطقه اجتماع استراسي يمتد من باكستان الى مصر، ومن برکا الى السودان، مرورا بدول الخليج المسحة للنفط، وبالارتكار على المعرف كقاعدة استراسيجية حلقيه.

هذا الاجماع الاستراسي يجعل لنفسه كخطبة تبريريه مواجهه الخطرو السوسي المرعوم ، لسحبى مراميه العدوaise ضد الشعوب ونصالتها من اجل السحر والبعد .

٢- دور اسرائيل والجماعات العربية

ان التعاون الاستراسي بين اسرائيل والولايات المتحدة يؤكد ان الكيان الصهيوني يحتل موقع الصدارة باستمرار في مرتکبات السياسة الامريكية في السرق الاوسط وفي المنطقة العربية. فقد أثبت هذا الكيان الاستعماري العنصري مسد ازيد من ملايين سد خدمته المطلقة كرأس حسر امبرالي في المنطقة، لسکریس واقعه الاستيطاني من جهة، ولضرب قوى التحرر العربي ومحاصرتها من جهة ثانية. ان التحدى الصهيوني وصل ذروته في الشهر الاخير بدءا من ضرب المعامل السووي العراقي وصم مرتقبات الحولان وصولا الى المؤامرة الجهمية التي ينفذها على الارض الفلسطينية المحلتة، وخاصة في الضفة الغربية وقطع عرده. فقد نصادرت عمليات مصادرة الارض، واساء المستوطنات الاستعمارية. كما يسمى العدو في سو فناه من البحر المتوسط الى البحر الميت عبر الاراضي المحلتة في ١٩٦٧، ليرجم عطيا بيته المبنية في ضم كل الاراضي العربية الواقعة تحت سلطته، مقابل "اسحابه" من سيناء ، والقصف الوحشي الموجه ضد الحماهير الشعبية الفلسطينية اللبنانيه السورية، وعمليات التفتيش والقمع داخل الارض المحلتة، تشكل التعبير الملموس عن اراده تصفيه القضية الفلسطينية، والتي حاصل اراده التصفية الدموية هاته، هناك عمليات التصفية السياسية التي تحاول الرجعيات العربية عبنا حبکها وممارستها ضد الثورة الفلسطينية والنضال العربي التقديمي عامه. دور الرجعيات هذه، مكملا للدور

تدعيم وجودها بالمنطقة العربية، وتسجيل نجاحات مرحالية في ضرب مكتسبات ومنجزات النضال الشعبي الوطني العربي . فقد سمح لها اتفاقيات كامب ديفيد من اختراق الصف العربي، ونقل الصراع الى داخله من جهة، وخلق ثغرة في النضال القومي ضد الامبراليه والصهيونية من جهة ثانية. غير ان الصمود الفلسطيني اللبناني السوري المدعوم من دول جبهة الصمود والقوى التقديمية العربية، وكل القوى المحبة للعدل والسلام في العالم، وعلى رأسها الدول الاشتراكية، حال دون توسيع نطاق كامب ديفيد من جهة، ووضع نظام السادات في وضعية من العزلة الخانقة. أمام هذا الوضع ، تحركت الامبراليه الامريكية في انحاءين : عسكري وسياسي .

على المستوى العسكري، عززت الولايات المتحدة وجودها المباشر في اكبر من فطر، ودعمت اساطيلها البحريه وكثفت الاتفاقيات العسكرية المشتركة مع الرجعيات العربية، وحملت على تسهيلات خطيرة لاستعمال التراب العربي في هجماتها العدوانية . والى جانب هذا التكتيف ، قطعت الولايات المتحدة خطوات هامة في تحضير قوة التدخل والاستئثار السريع، ودمجت في اطار هذه الخطه، جيوش كل من مصر والسودان والصومال وعمان ، من خلال مناورات "السماع".

وفي هذا الاطار أيضا ، فامت امريكا بتفویة الترسانة العسكرية السعودية عبر صفقة طائرات "الاواس" لتعزيز دورها القبادي للرجعيات العربية. كما صاغت من تبني الفوة العسكرية الصهيونية ورفعت علاقتها معها الى مستوى اقصى من خلال توقيع الاتفاقية الاستراتيجية مع اسرائيل ، مؤكدة على موقع الدولة الصهيونية في المنطقة كموقع استراتيجي هجومني ممبير .

اما على المستوى السياسي ، فقد ركزت امريكا جهدها على ايجاد صيغ انقاد لاتفاقات كامب ديفيد ، تمهددا لتوسيعها وتعويضها . وفي هذا النطاق أولت الامبراليه دورا أساسيا للرجعية السعودية من خلال دعم نفوذها وتفويتها ، لتقوم بدور الانقاد هذا ، بطرح مشروع فهد . هذا المشروع الذى شكل اعترافا مجانيا بدولة العدو الصهيوني ، ويستعد منظمة التحرير الفلسطينية ودورها الحاسم كمثل للشعب الفلسطيني . ان العربية السعودية تحاول استغلال ثروتها النفطية ورصيدها المالي الهائل ، لفرض زعامتها على الساحة العربية من جهة ، وتعويض الفراغ الذى أحده سقوط النظام الشاهنشاهي بايران من جهة ثانية . وفي هذا الاتجاه يأتي تشكيل مجلس التعاون الخليجي ليقتن الدور السعودى ، ويعمق هذا التوجه . وأمام فشل مشروع فهد في تحقيق اجماع حوله في قمة فاس ، وبعد ان

هو حسني مبارك يصرح لصحيفة "السياسة" الكويتية: "دعونا نستخدم مصر كطرف معاير في سياسته عن السياسة السائدة في العالم العربي . هناك من كان يرغب بالحوار مع اسرائيل عبر الاتحاد السوفياتي او أمريكا . لماذا لا يكون عبر مصر .. ليعتبرنا العالم العربي دولة أجنبية تريد احلال سلام شامل في منطقة فرصتها مع السلام ضرورة" . . .

من خلال هذه الاعتبارات الثلاث ، ومن خلال تصريح الرئيس المصري نفسه، يبدو واضحاً أن مسرحية الانسحاب من سيناء كانت المقدمة الضرورية لتدشين جزء جديد من مسلسل التسوية الخيانية ، يرتكز أساسها على تكريس الرعامة السعودية ، والحفاظ على النظام المصري كحلقة وصل بين اسرائيل والرجعيات العربية . أى تطبيع التطبيع المصري = الصهيوني خطوة نحو التصفية السياسية للقضية الفلسطينية .

في هذا الاتجاه ، تجدر الاشار للدور الخطير الذي يلعبه النظام الرجعي المغربي في هذا المخطط . فاستمراراً لنهج الخيانة التآمرى في كمب ديفيد نفسه ، ها هو ذا النظام المغربي يدعو لربط العلاقة مع مصر ، ويبادر لاحيائها ، بل يدعو العرب للاحتفال بـ ٢٥ أبريل ، تاريخ الانسحاب من سيناء ، كعيد قومي . ان الرجعية المغربية في تصديها لهذا الدور ، تنسجم مع طبيعتها وجواهر ارتباطها بالامبرالية والصهيونية . ان التطورات التي شهدتها المغرب في الشهور الاخيرة في اتجاه تعزيز الهيمنة الامبرالية ، وتقنين الانزال الامريكي وتوسيعه ، يدخل في نطاق تحويل التراب العربي المغربي الى قاعدة خلفية للامبرالية الامريكية واستراتيجيتها العدوانية ضد الشعوب ، وأساساً ضد الشعب الفلسطيني . والادهى من ذلك ، أن يقوم النظام المغربي بمارسته الخيانية هذه وهو على رأس لجنة القدس !

٤-الاتفاقية الشعبية في فلسطين المحتلة

اذا كان الكيان الصهيوني قد تمكن في الشهور الاخيرة من تحقيق عدة نقاط في برنامجه التوسيعي ، فإنه عجز عن انجاز جزء هام من هذا البرنامج في اطار تطبيق الخطة الامبرالية العدوانية في الساحة العربية . لقد استغل الكيان الصهيوني ثغرات الوضع العربي بذكاء كبير ، واستفاد من خدمات الرجعية العربية ونجاحات الامبرالية الامريكية من جهة ، ومن حالات الاستنزاف على أكثر من وجهة عربية من جهة ثانية . وبعد أن أعلن القدس "عاصمة أبدية" ، وضم

الصهيوني ، ويجمعهم اطار واحد ، هو الاستراتيجية الامريكية الامبرالية . فمشروع فهد الخيانى ، والدعوة السعودية – المغربية للصلح مع النظام المصرى يجسدان نفس النهج الاستسلامي التآمرى على القضية العربية . فوراء هذه الدعوة البريئة المظهر لاسترجاع العلاقة مع مصر ، تختفي اراده تعليم التطبيع واخراجه من حيزه المصرى الاسرائيلي الضيق لجعله أساس اجماع واسع .

وفي هذا الاتجاه ، تحوالى الرجعية العربية على اختلاف مواقعها ، تبرير تواطؤها المكشوف مع الامبرالية الامريكية بـ "الخطر" الشيعي تارة ، وـ "تهديدات" الثورة الإيرانية تارة أخرى ، محاولة الانطلاق من هذه التبريرات لضرب الواقع المتقدم المناهض للامبرالية ، وأساساً اليمن الديمقراطي ولبيا وايران . وفي هذا الاتجاه ، كثفت الرجعيات العربية من الاتفاقيات الامنية الثنائية والجهوية فيما بينها ، وفتحت أبواباً أكثر من قطر عربي للانزال العسكري الامريكي المكثف ، رابطة بذلك مصيرها بالامبرالية والصهيونية ، وجعلت نفسها جزءاً لا يتجزأ من الاستراتيجية العدوانية الامريكية .

٣-دلائل "الانسحاب" من سيناء

ما من شك في أن عملية الانسحاب الصهيوني من سيناء تشكل قفزة جديدة في مسار التسوية الخيانية تحت المظلة الامريكية ، لا لكونها تشكل نهاية الاحتلال ، كما يدعى نظام مصر ، ولكن باعتبارها :

١) تقىن الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين والاراضي العربية المحتلة . ذلك أن العقبة الاخيرة في وجه "السلام" حسب اطراف كامب ديفيد هي تصفية موضوع "الحكم الذاتي" المزعوم للشعب الفلسطيني .

ب) تشكل تطويراً خطيراً ، من حيث أنها تعطي صبغة الشرعية الدولية لتوارد قوات الحلف الاطلسي في المنطقة ، وعلى رأسها ٦٧٠ عسكرياً من قوات التدخل السريع . بالإضافة لاماكنية استعمال القواعد العسكرية للتدخل في منطقة الخليج والبحر الاحمر والبحر المتوسط ، فضلاً عن عزم الولايات المتحدة على زرع محطات للانذار المبكر في كل مرات سيناء .

ج) تطبيع وضع النظام المصرى وفتح المجال أمامه لفك عزلته العربية . وبعد حلول قوات الحلف الاطلسي بزعامة أمريكا في سيناء محل القوات الصهيونية ، لم يعد النظام المصرى ملزماً بأى شكل من الاشكال ، بالصراع مع اسرائيل ، سواء حول "الحكم الذاتي" أو الجولان أو جنوب لبنان . . . الخ . فها

السافر لضرب نضالات الشعوب العربية وقواها التحررية التقديمة. وانطلاقاً من هذه البحاجات الاولية، تحاول الامبرالية الامريكية جعل الوطن العربي بطاقاته وامكانياته البشرية والمادية، جزءاً من استراتيجية تجدها العدوانية على المستوى الدولي، الى جانب تكافف التهجمات الامريكية والاسرائيلية والرجعية العربية على اكبر من صعيد، بهدف تصفيه القضية الفلسطينية وضرب القوى الثورية العربية وتضييق الخناق عليها وتحجيم دورها. ان مدخل الحلقة التآمرية الجديدة هو تطبيع العلاقة مع النظام المصري تحت مظلة كامب ديفيد، وتحريك مشروع فهد، او اي مشروع تصفى آخر، لخلق اجماع حوله. وفي هذا الاطار، تدرج الخطوات الخيانية للنظام الرجعي المغربي الذي يتحدى سياساته هذه، الشعور والالتزام القومي للجماهير الشعبية المغربية. لقد شكل الصمود الشعبي في فلسطين المحتلة وفي لبنان والاراضي العربية المحتلة، والانتفاضات والانتفاضات اليومية المستمرة في اكبر من قطر عربي، دلالة واضحة عن امكانات المواجهة الحقيقة التي تزخر بها الجماهير العربية العريبة اذا توفر عنصر التأثير والوضوح السياسي. ان القوى التحررية العربية مدعوة لدعم الانتفاضة الشعبية وتعزيز المبادرات التضليلية لخلق شروط التهدى لحالة التردى التي يعرفها الوضع العربي، وبلورة شعارات سياسية واضحة تسمح من جهة، بتوسيع حقيقة الصراع الدائر ومحتواه وأبعاده، وتعزل من جهة ثانية، الانظمة العربية الرجعية تمهدلاً للجسم تحرکاتها. في هذا الاتجاه، يلزم العمل بلبورة مواجهة نضالية واسعة ضد مسلسل التسوية والعدوان على أساس المحاور التالية:

- مواجهة تطبيع العلاقات مع النظام المصري، ما دام هذا الاخير مستمراً في نهج كامب ديفيد، وفضح كل دعاة الصلح التآمرى وعلى رأسهم النظام المغربي، وطرده من لجنة القدس.
- جلاً كل القوات الامريكية عن التراب العربي، والغاً الارتباطات مع الامبرالية الامريكية، وحل اللجان العسكرية المشتركة والتحالفات الخيانية معها.
- دعم نضال الشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير، داخل وخارج الارض المحتلة، وتدعم الصمود الشعبي اللبناني بقيادة الحركة الوطنية، ومساندة تلامم الشعبين على الساحة النضالية في مواجهة قوى الانعزالي والصهيونية المتحالفه.
- تمتين العلاقات النضالية التنسيقية الوحدوية بين القوى التحررية

الجولان بشكل سافر، وطبع علاقته بالنظام المصري ومتنهما، اتجه الكيان الصهيوني لضم الاراضي العربية المحتلة في ١٩٦٧، بما عملياً، وفرضه كامر واقع قبل تقنيته. في هذا الاتجاه، ركز العدو على ضرب المؤسسات الوطنية الفلسطينية، واقالة رؤساء البلديات العرب كمقدمة لفرض "الادارة المدنية" من جهة، واختلاف زعامة فلسطينية موالية عبر "روابط القرى" من جهة ثانية. كما كثف العدو من اجراءات مصادرة الاراضي وبناء المستوطنات الاستعمارية. كل هذا تحت ستار مشروع الحكم الذاتي، و"حل" مشكل الفلسطينيين. وهكذا جمع الكيان الصهيوني بين اسلوب التصفية الدموية بالقمع المنهجي داخل الاراضي العربية المحتلة وفي لبنان وأسلوب التصفية السياسية في محاولة يائسة لضرب تمثيلية منظمة التحرير الفلسطينية كمدخل لتمكينة الثورة الفلسطينية. غير أن مواجهة الشعب العربي الفلسطيني داخل فلسطين والاراضي العربية المحتلة، فاقت كل توقعات العدو وحساباته. فقد فجرت الجماهير انتفاضة واسعة النطاق، تلتقي مع الذكرى السادسة ليوم الارض لمواجهة الاجراءات الصهيونية الرامية لتمرير مهرزلة الحكم الذاتي. وقد عبرت الجماهير من خلال الاضربات والمظاهرات اليومية والمواجهة المباشرة مع قوى العدو، عن صمود بطولي واستعداد نضالي عال، متحملة ضربات العدو ضد المواطنين العزل، مضحية بالشهداء، رافعة العلم الفلسطيني، وهاتفة بمنظمة التحرير وبقادتها الوطنيين. لقد اضطر العدو الاسرائيلي، أمام قوة الصمود الجماهيري، لتشديد القمع الوحشي، ومحاصرة المدن والقرى، وفرض حظر التجول، والتقييد والاعتقال الجماعي .. في نفس الوقت الذي يمارس فيه قصفه المدمر على بيروت وجنوب لبنان لضرب التلامم الفلسطيني - اللبناني، وتكسير صموده وقوته.

ان الانتفاضة الجماهيرية ضد العدو الصهيوني، جاءت لتوؤكد للعالم اجمع، ان القرار الاخير في يد الشعب الفلسطيني، وأنه مهما بلغت دقة التآمر العدواني، ومهما وصل عنف القمع الوحشي وحرب الابادة، فلا سلام ممكن دون احترام الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير.

خالمات عامة

لقد تمكنـت الامبرالية بتوابـطـهـاـ الـانتـظـمةـ العـربـيـةـ العمـيلـةـ،ـ كالـنظـامـ المـغـربـيـ،ـ منـ تـكـيـيفـ حـضـورـهـاـ وـوـجـودـهـاـ السـيـاسـيـ وـالـعـسـكـرـيـ فـيـ الـوـطـنـ العـرـبـيـ.ـ وـأـصـبـحـتـ تـمـلـكـ اـمـكـانـيـاتـ فـعـلـيـةـ مـلـمـوسـةـ عـلـىـ الـاـرـضـ العـرـبـيـةـ لـلـتـدـخـلـ العـدـوـانـيـ.

التقدمية العربية، وتطور مبادراتها المشتركة في اتجاه خلق تعبئة جماهيرية واسعة لمواجهة التصعيد العدوانى الامريكي والتمدد لمخططاته في كل الواجهات . كل هذا مع تمنين وترسيخ أواصر التضامن والمساندة مع قوى التحرر الوطني العالمية والاحزاب العمالية والمعسكر الاشتراكي وكل القوى المحبة للعدل والسلام .

النظام المغربي يقود الحملة من اجل الالتحاق الجماعي بركب كامب ديفيد

مع الانسحاب المسرحي والمشروط لقوات الاحتلال الصهيوني من سيناء ، وتعويضها بالاستعمار الامريكي – الاوروبى ، ارتفعت اصوات الرجعية العربية تندى بضرورة عودة مصر – النظام الى الصف العربي . ذلك ان مصر – الشعب لم تكتفى يوما عن النضال عبر قواها التقدمية الديموقراطية ضد محمل السياسات الخيانية محليا وعربيا ودوليا .

سوف يكون من باب التكرار ، سرد تفاصيل الدور الكبير الذى لعبه النظام المغربي في ترتيب التحضيرات واللقاءات الاولية التي كانت المفتاح الموصى الى كامب ديفيد . كما ان النظام لم يتراجع عن ايفاد رئيس وزرائه للمشاركة في جنازة السادات ، الا لتخوفه من الاحراج الذى سوف تصاب به الاطراف الرجعية العربية الاخرى ، وهي في طريقها الى قمة فاس .

اما بعد الانسحاب المسرحي من سيناء ، ومع الوضع العام السائد في الوطن العربي ، والمتميز بسيطرة المنطق الرجعي تحت ستار الحكم والتعقل ، فإن النظام المغربي ، ومه كل الانظمة الرجعية المكشوفة والمستوره ، يتصدى لحملة مد الجسور مع نظام مصر "لارجاع" العلاقة ، وبالتالي ، اعادة "التضامن العربي" . وفي هذا السياق ، تندرج الزيارة التي ينوى وزير الخارجية والامين العام لحزب الاستقلال ، القيام بها لمصر ، لتشكل التتويج لهذه المساعي المغربية لتعيم كامب ديفيد على عموم المنطقة العربية . والنظام المغربي ، ومن معه من انظمة



رجعية، الساعية الى ارجاع نظام مصر الى الصف العربي ، يجب أن نعلم وبشكل أساسى ، أنها تخوض الان معركة حقيقة ، ليس لارجاع مصر ، ولكن لكي تلتحق هي بمصر ، أى بمعاهدة كامب ديفيد بكل ملحقاتها العلنية والسرية .

ذلك أن المشكلة الأساسية في موضوع الوضع المصري ، سواء أكان السادات أو مبارك أو غيره ، ليس الدخول أو الخروج الى الصف ، ولكن الاساسى هو السبب والسبب لهذا الخروج . فمصر عبد الناصر كانت خارجة بشكل أى آخر ، عن الصف العربي الرسمي . كانت تقاتل الرجعية في اليمن ، وتحارب الحلف الاسلامي الذي طرحته السعودية ، وتحارب كميل شمعون في لبنان ، وحكومة الانفصال في سوريا ، وبقایا حلف بغداد في الادن ، والرجعية المغربية والتونسية في المغرب العربي ، والاستعمار البريطاني المهيمن آنذاك في الخليج والجنوب العربي ، والاستعمار الفرنسي في الجزائر .

ولهذا ، فالشكل الحالي لوضع مصر الحكومي ، هو التحاقها بالاستعمار الاسرائيلي – الامريكي عبر معاهدة كامب ديفيد ، وتفردها في عقد اتفاقية صلح مع الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين العربية ، الشيء الذي حكم عليه ، وأساسا من قبل الشعوب العربية والشعب الفلسطيني خاصة ، بأنه نهج خياني للمصالح العليا لهذه الشعوب .

ومن هنا فإن المسألة ليست محكومة بالنوايا والثقة في هذا الشخص أو ذاك . وإذا كانت المسألة محكومة بالنوايا ، فلقد عبر الرئيس المصرى وبشكل واضح أن مسألة عودة مصر الى الصف العربي يجب أن تكون مشروطة بكل اتفاقياتها مع الاستعمار الاسرائيلي ، أى أن يتم قبول مصر الحكومية بكل التزاماتها وتعهداتها مع اسرائيل . وهذا الالتزام هي بالأساس ، أى مصر ، مجرة عليه ، ذلك أن الوضع العسكري والامني ، وبفعل اتفاقية كامب ديفيد ونهايتها ، لا يمكن له الا الاستمرار بما خطه سلف مبارك المقتول . ومن هنا ، فإن كل المبادرات الرسمية ، وعلى رأسها مبادرة النظام المغربي ، إنما تعبّر عن أمنية الرجعيات العربية ومشاعرها في الالتحاق بالخط الخيانى لارادة ومصالح الشعوب العربية ، أى الارتباط النهائي والوثيق بالاستراتيجية الاسرائيلية – الامريكية ، والتي لن تختلف معها استراتيجية الرجعية بقيادة المغرب والاردن وال سعودية ومشايخ النفط في الخليج .

الصهيونية : حركة استعمارية عنصرية

بقلم : أبو الحكم

بادىء ذى بدء ، يجب ، توضيح أن هذا البحث لا يعالج الصهيونية كشعور ديني لدى بعض اليهود ازاً الاماكن المقدسة بفلسطين . ولكنه يتناول الصهيونية كحركة سياسية لم تظهر الا في القرن التاسع عشر بأروبا وتحديداً من خلال مؤتمر "بال" عام ١٨٩٧ .

لقد ظهرت الصهيونية بهذا المعنى ، في مرحلة تاريخية تميزت بقيام الدول والامم الاوروبية على أسس وطنية شوفينية وبروز الظاهرة الاستعمارية ، كتعبير عن انتقال الرأسمالية الى طور الامبراليه ، مع احتلال اجزاء كبيرة من العالم من طرف القوى الاستعمارية الاوروبية .

ان الشوفينية الاوروبية ، كانت موجهة أساسا ، في هذه الفترة ضد اليهود ، لأنها كانت تعتبرهم ، لاسباب دينية واقتصادية واجتماعية وغيرها ، دخلاء على المجتمعات الاوروبية ولا مكان لهم فيها . وهذا ما جعل القضية اليهودية تطرح على شكل "معاداة للسامية" بعد مرحلة طويلة تلت الثورة الفرنسية .

أمام هذا الوضع ، كانت أمام اليهود عدة امكانيات وأشكال للاندماج في المجتمعات الاوروبية : فقد اتجهت مجموعة منهم للاندماج بالحركات الاشتراكية الثورية على أمل تحطيم البنية الاجتماعية الرأسمالية التي هي مصدر متابعيهم . في هذا الصدد ، يقول لينين : "ان نسبة اليهود داخل الحركات الديموقراطية

متناقضين من حيث مواقفهم الاجتماعية وانتماهم الايديولوجية والسياسية، سواء بالارتباط بالحركات الاشتراكية أو بالتعلق باليهودية بمعناها الديني الممحض رافضين فكرة الدولة اليهودية. وهذا الموقف الاخير عبر عنه التجمع الامريكي من أجل اليهودية بشكل واضح: "نرفض المجهود المبذول لاقامة دولة يهودية في فلسطين او في اي مكان آخر، ونعتبر هذا العمل كفلسفة هروب الى الامام، اتنا نعلن تبرئتنا من كل هذه المعتقدات المرتبطة بهذا الهدف - الدولة - الذي يؤكد العنصرية" (٢) .

لقد وعيت الصهيونية بأن الخصوصية الثقافية غير كافية لوحدها لتبرير قيام الدولة اليهودية، وأن فكرة الدولة هاته لا تحظى باجماع اليهود . ومن هنا عملت الصهيونية بكل الوسائل والاساليب على تجاوز هذا الواقع لتحقيق هدفها بخلق دولة لليهود . في هذا الاتجاه، وضعت الصهيونية لنفسها خطة مزدوجة ترمي من جهة لتمييز اليهود وعزلهم عن السكان غير اليهود، ومن جهة ثانية لتعبيتهم في اطار حركة وطنية شوفينية.

ب) تمييز اليهود وعزلهم :

لتحقيق هذا الهدف، اعتمدت الصهيونية على نفس الحجج والمبررات التي استعملت ضد اليهود انفسهم ، اي مبرر العرق والتتفوق . فكما يشير "موزيis" في كتابه : "روما والقدس" : ان اصل اليهود هو أحد أهل الاصل الرئيسي للعنصر البشري، فقد احتفظ هذا الاصل ببناؤته رغم التغيرات الجغرافية، فالطابع اليهودي حافظ على خصوصيته عبر العصور" (٤) .

ولم تكتف الصهيونية بالاعتماد على هذا الطرح العرقي ، بل دعمته ببعد عنصري واضح عند ما ارتكت على فكرة تفوق العرق اليهودي . وهكذا وصلت الى استخلاص أن الشعب اليهودي يتميز عن سائر الشعوب الأخرى ، بل ويتفوق عليهم . في هذا المدد يعلن "ليوبينسکر" في كتابه "التحرر الذاتي" : "ان اليهود يلعبون دوراً اهم بكثير من دور اي شعب آخر في العالم المتمدن . انهم يستحقون من الإنسانية ما لا تستحقه الشعوب الأخرى" (٥) .

لقد حاولت الصهيونية أن تشرح هذا التخوف المزعوم بمبررات دينية على اعتبار أن "تاريخ الإنسانية أصبح مقدسًا من خلال اليهودية" (٦) ، ولأن الشعب اليهودي وحده الذي يملك ديناً يربط بين مكونات وطنية ودولية وتاريخية في نفس الوقت . انه شعب الله الوحد" (٦) .

والبروليتارية، تفوق في كل مكان ، نسبتهم ضمن السكان بشكل عام " (١) . في حين التجأ آخرون الى الاندماج الكلي في هذه المجتمعات ، بالتخليص - ولو ظاهرياً - عما يميزهم عن السكان غير اليهود . وفي هذه الفئة الثانية، تجب الاشارة الى أن جزءاً من اليهود تمكن من الوصول الى قمة الرتبة الاجتماعية كرأسماليين .

أولاً: الصهيونية كحركة شوفينية خاصة

لقد جاءت الصهيونية كبديل عن حل الاندماج باشكاله المختلفة ، ذلك أن الصهاينة انطلقوا منذ البداية من أن اللاسامية ، "مرض قائم الذات ووراثي" ، على حد تعبير موسيس هيس في كتابه : "روما والقدس" . ومن هنا اقترحت الصهيونية برنامجاً شوفينياً لحل المشكلة اليهودية .

١) تقليد النزعات الوطنية الاوروبية:

ان نجاح عدة شعوب أوروبية في اعطاء نفسها هوية خاصة على أساس الوطنية . أثار اهتمام المفكرين اليهود الذين تبنوا هذا الخط كفكرة رائدة لحل المشكلة اليهودية . وبالفعل ، فاننا نجد هذه الفكرة باستمرار في الكتابات الصهيونية الاولى ، حيث أن هيرتزل يعتبر : "أن القضية اليهودية ، ليست مشكلة اجتماعية أو دينية ، على الرغم من أنها تأخذ هذه المميزات أحياناً ، ولكنها مشكلة وطنية . ولكن تجد حلاً ، فلا بد من اعتبارها قضية سياسية دولية تجتمع حولها الدول المتحضرة لمناقشتها وحلها" (٢) .

غير أن الصهيونية ، في مرحلة التقليد هاته ، لم تكن تتتوفر على نفس الشروط والظروف التي سمحت للحركات الوطنية الورقية بتشييد دولها . وهذه الحركات كانت لها أساس اجتماعية متجانسة ، وكانت متوحدة جغرافياً وتاريخياً ومرتبطة باللغة الواحدة . فالشعوب الاوروبية ، لم يكن أمامها ، انطلاقاً من هذه الأسس ، غير تدعيم حدودها وتشييد هيكل مجتمعاتها الجديدة في اطرافها الجغرافية .

بالنسبة لليهود ، الامر مختلف تماماً ، حيث أنهم مشتتين كحاليات صغيرة في عدة مجتمعات أخذوا عنها تقاليدها وقيمها ونسبيت غالبيتهم لغتها ودينها . ذلك أنهم اتجهوا للاندماج والانصهار داخل هذه المجتمعات كما كانوا

بطائفة دينية ولا بمدرسة فكرية، بل أفراد من نفس العائلة يجمعها التاريخ المشترك. فنبذ الديانة اليهودية لا يعني الخروج عن المجتمع اليهودي، اعتناق

الديانة اليهودية لا يجعل من الفرد يهودياً حقيقة (٩) .
الى جانب هذا المفهوم اللائق للوطنية اليهودية، يوجد مفهوم ديني
لهذه الوطنية كما يطرحها الكاتب الصهيوني "يهيل ميشيل بينيس": لا اتفق
مع الموقف الذي يريد أن يحول الأمة اليهودية إلى أمة لائقية. ان الدولة يجب
أن ترتكز على اليهودية التي ضمنت استمراريتها عبر العصور" (١٠) .

انطلاقاً من هذين المفهومين، حاولت الصهيونية تعبئة كل اليهود متدينين ولائين. فيما يخص اللائين، ركزت الصهيونية على المنخرطين منهم في الحركات الاشتراكية، وهم الغالبية. وفي روسيا التي كانت تضم أكبر جالية يهودية آنذاك، حاولت الصهيونية التوفيق بين الاشتراكية والصهيونية. وفي هذا الصدد تجدر الاشارة الى محاولة "نامان سيركين" والحركة الصهيونية الاشتراكية التي كان يقودها، اذ كان سيركين يعتبر أن اليهودي يمكن أن يوفق بين التزامه الوطني (الشوفيني) والتزامه الطبقي. فقد انطلق من أن الاشتراكية قادرة على حل المشكل اليهودي في مدى قريب، في حين أن الصهيونية تحله على المدى البعيد باقامة الدولة اليهودية. لكن سيركين سيسعى جداً لنشاطه داخل المنظمة الصهيونية العالمية عند ما رفض المؤتمر الصهيوني السابع فكرة اقامة الدولة اليهودية باعتدلاً كما كان يرى هو. هذا الامر سمح لبير بورخوف باخذ زعامة التيار الاشتراكي داخل المنظمة على أساس استعمار فلسطين. ان أطروحت سركين وبورخوف، أدت في روسيا الى تشكيل أكبر منظمة يهودية عالمية تحت اسم "عمال صهيون". وفي سنة ١٩٠٨، ستتحول هذه المنظمة الى اتحاد عالمي له عدة فروع في العالم تحت اسم "الاتحاد العالمي لليهود الاشتراكيين". وبموازاة هذا الاتحاد، ت成立了 تنظيمات عمالية صهيونية أخرى تجمعت سنة ١٩١٣، في منظمة "شباب صهيون"، كمنظمة تتنطلق من رفض الاشتراكية، باعتبار أن المتراع الطبقي يمكن أن يؤدي الى الغاء "المصالح الوطنية للشعب اليهودي".

وبشكل عام ، فان هذا الاتجاه الاشتراكي داخل المنظمة الصهيونية ، ساعد على طمس الطبيعة الاستعمارية للصهيونية وأعطها طلاء اشتراكيا مزعموا ، وسمح بجر الفئات الاجتماعية الكادحة اليهودية . ان هذا الامر ، هو الذى جعل الصهاينة اكثر رجعية ويمينية لا يعادون هذا التوجه ، بل بالعكس ، اعتبروه مفيدا ضروريا . وتكتفى الاشارة هنا الى تصرير جابوتينسكي الذى يقول فيه : "ان

ج) تجميع اليهود في اطار سياسي واحد:

ان عزل اليهود عن الاخرين وتفريقهم عنهم ، ليست هي الوسيلة الوحيدة التي التجأت اليها الصهيونية لتحقيق مشروع الدولة ، ففضلاً عن ذلك ، كان من المضطري تعبيئة اليهود وخلق وحدة وطنية بينهم في اطار تيار موحد . في البداية لم يتقبل اليهود الصهيونية بحماس ، ذلك أنهم ، كما سبقت الاشارة ، كانوا منخرطين في حركات سياسية اشتراكية في الغالب ، أو مكتفين بالانتماء الديني . وهكذا كان على الصهيونية أن تخترق الاوساط الدينية من جهة وأن تحجلب اليها اليهود الملتزمان ايديولوجيا باستقطابهم عن الحركات الاشتراكية العالمية . لتحقيق الجمع بين هذين الهدفين ستأخذ الصهيونية طابعاً متعدد الاشكال . فهي في نفس الوقت ايديولوجية دينية ولائقية واشتراكية وطنية ، لتشكل بذلك مغالطة تاريخية كبرى بمنطق انتهازى يهدف لبناء الدولة بأى ثمن كان .

ان العلاقة بين الصهيونية واليهودية، علاقة جد معقدة ومشبعة، فقد أعطى الصهاينة للدين اليهودي طابعاً وطنياً، لكنهم فشلوا في اعطاء "الوطنية اليهودية" طابعاً دينياً. في هذا الصدد يقول "جاكيوب كلاتزك": "أن يكون المرأة يهودياً لا يعني أنه يعتقد مذهبها دينياً أو روحياً محدداً. فتحتاج اليهود، لستا

في القدس" (١٢) .

انطلاقاً من هذا الارتباط الديني - الثقافي ، ادعت الصهيونية وجود أمة يهودية ، لكن انعدام الارض كان يحول دون تحقيق مشروعهم لاقامة الدولة . ومن هنا لم يكن هناك من حل لإنجاز هذا المشروع ، غير الاستعمار الاستيطاني من خلال الاستفادة من التجارب الاستعمارية القائمة آنذاك ، وخاصة تجربة افريقيا الجنوبية العنصرية .

لقد تم اختيار فلسطين ، بعد نقاشات مطولة ، سنة ١٩٠٣ ، خلال المؤتمر الصهيوني السادس . وقد موّهت الصهيونية اختيارها هذا ، بأسباب دينية ، على أساس أن فلسطين هي "أرض الميعاد" وأنها أرض بدون شعب ، الشعب بدون أرض . لكن الواقع "أن فلسطين كانت تضم سنة ١٩١٨ ، ستة وخمسون ألف يهودياً ، من أصل مجموع السكان البالغ عددهم سبعين ألف نسمة" (١٣) . ومن هنا ، تأخذ الصهيونية طبيعتها الاستعمارية على غرار الحركات الاستعمارية الأخرى ، وخاصة الحركة الاستعمارية العنصرية بجنوب افريقيا .

ب) العلاقات المتواترة مع السكان العرب .

لقد تميزت الصهيونية عن الحركات الاستعمارية الأخرى (افريقيا الجنوبية والجرائم مثلاً) بأنها لم تضع لنفسها استعمار الارض واستغلال سكانها كهدف ، بل تجاوزته بجعل افراغ فلسطين من أهاليها هدفاً ثابتاً وأساسياً . وهذا ما يعبر عنه رئيس قسم الاراضي والغابات لدى الوكالة اليهودية "يوسف ويتر" بقوله : "ان عودتنا لا يمكن أن تتم الا إذا كانت البلاد فارغة من سكانها العرب . وهذه ضرورة مطلقة اذا أردنا فعلاً ايجاد حل للمشكل اليهودي" (١٤) . ويستمر ويتر هذا ، موضحاً أفكاره بقوله : "يجب ان يكون واضحاً أنه بالنسبة لنا ، لا مكان على هذه الأرض لشعبين اثنين (٠٠٠) ، فلا حل أمامنا غير تهجير العرب نحو البلدان المجاورة (٠٠٠) ، ولا يمكننا الحفاظ على قرية ولا قبيلة . يجب أن يهجروا بكلائهم" (١٥) .

اذن ، توجهت الصهيونية بشكل واضح نحو طرد الشعب الفلسطيني من أراضيه باستعمال كل الوسائل والأساليب . لكنها أخطأت في تقدير رد الفعل الشعبي الفلسطيني ، ولم تكن تتوقع منه مقاومة لمخططاتها . فحسب منظريها ، كان السكان العرب : "يفتقدون لالية خاصية اقتصادية وثقافية مستقلة . فهم مقسمين لا بسبب الوضع الجغرافي للبلد فحسب ، ولكن أيضاً لكونهم لا يشكلون أمة ولن

صهيونية عمال صهيون واضح ، لأنهم يعترفون علانية بضرورة قيام دولة يهودية ، بينما كانت البروليتاريا اليهودية ضد فكرة الدولة قبل نشوء هذه المنظمة (٠٠٠) . يجب علينا أن نضمن لهم حرية التطور والاعتراف بهم كاتحاد صهيوني مستقل ، والاعتراف بحقهم في التحويل الضروري من المنظمة الصهيونية" (١٦) . وهذا هو ما يفسر تحالف كل التيارات الصهيونية سواً في إطار المنظمة الصهيونية العالمية أو في إطار دولة "اسرائيل" ، على أساس الحد الأدنى الذي يتجسد في الحفاظ على الدولة الصهيونية مهما كان الثمن وبأية وسيلة .

ثانياً : الصهيونية كحركة استعمارية

أ) البحث عن أرض لبناء الدولة .

ان من أهم الدروس التي استخلصتها الصهيونية من تجربة الحركات الوطنية الأوروبية ، هي أن كل أمة يجب أن تتجسد في دولة ذات تراب وطني وسيادة وطنية . وفي الحالات التي توجد فيها الامة موزعة على عدة دول ، اتجهت الحركات الوطنية لتوحيدها كامة في دولة واحدة (ألمانيا وايطاليا) . وفي حالة تواجد دولة تسيطر على عدة أمم ، كان الاتجاه نحو محاولة تجميع كل أمة في دولة واحدة (تركيا) . لكن هذا الامر كان سهلاً نسبياً ، نتيجة تواجد كل حالية وطنية في منطقة جغرافية محددة ، فضلاً عن الارتباط التاريخي والاقتصادي والثقافي واللغوي لكل جالية من هذه الجاليات (مع بعض الفوارق في هذه العوامل المذكورة من أمة الى أخرى) .

غير أن اليهود كانوا مشتتين على عدة مجتمعات ، ومتمايزين عن باقي السكان في نفس الوقت . فالملكية العقارية كانت محظورة عليهم ، مما جعلهم يتوجهون نحو التجارة والمهن الحرة ، الشيء الذي فرض عليهم التنقل أو الاستقرار في المدن دون أن يتجردوا في منطقة جغرافية محددة تسمح لهم بالالمطالبة بحق اقامة دولة فيها . بالإضافة إلى "ان اليهود بقوا مرتبطين بالرسالة الثوارية والتقاليد القديمة المسجلة في القانون المنزلي في سينا (التوراة) والذي يحدد معيشتهم بكل تفاصيلها . فمن الاكيد أن هذا القانون تم تكييفه مع الظروف ، لكن جوهره وما هو أساس في فيه تم الحفاظ عليه (٠٠٠) . فهم يختلفون بنفس الاعياد ، ويحترمون نفس القواعد الغذائية والمحظوظات الجنسية ، ويرددون من جيل لآخر ، وهم يخلدون ذكرى الخروج من مصر ، الامر الالفي : السنة المقبلة

استطاباً. كما هو الشأن بالنسبة للصهيونية في فلسطين ، والنظام العنصري بأفريقيا الجنوبية . وهذه الحركات الاستعمارية الاستيطانية لا يمكنها أن تستمر في الواحد بدون الدعم الخارجي للامبرالية على كافة المستويات ، مقابل أن سولى هي خدمة المصالح الاقتصادية وال استراتيجية لهذه الامبرالية، حيث أن هذه الانظمة العنصرية تواحد كاجسام عربية في أوساط مناقضة لها حضاراتها وبارسحا وتفاعلاً واقتصادياً واجتماعياً .

وهما تحدى الاشارة الى خصوصية الحركة الصهيونية . ففضلاً عن ارتباطها العصوى بعده دول ، فإنها تعتمد بشكل أساسى على دعم "الدياسپورا" ، أى الحالى اليهودية الموزعة عبر العالم (خارج فلسطين) .

ان الادبولوجية الصهيونية كانت واصحة منذ البداية بخصوص الدور الامبرىالي المطروح على الدولة اليهودية أن تلعبه في المنطقة . فيدور هرتزل يغول في هذا المدد : "ستشكل هناك ، قاعدة أوروبية متقدمة في مواجهة آسيا ، أى كقاعدة للحصار في مواجهة الهمجية" (١٩) . وكان هذا التوجه العنصري الواضح أساس العروض التي قدمتها الصهيونية لاماانيا وروسيا القىصرية وتركيا وعمرها . وستركر الجهد الصهيونية على بريطانيا العظمى قبل الحرب العالمية الاولى . باعتبارها مهبة أكثر من غيرها لرعاية وحماية الاستعمار الصهيوني الاستيطاني . في هذا المدد يقول هرتزل : "لقد كان الانجليز أول من وعى ضرورة التوسيع الاستعماري في العالم الجديد . ولهذا ، نجد العلم البريطاني سرور في كل الساحار . وهو ما يدفعني إلى الاعتقاد بأن الفكر الصهيوني ، الذي هي فكرة استعمارية ، يجب أن تحظى بالفهم السريع لدى الانجليز" (٢٠) .

وبالفعل ، لعبت بريطانيا دوراً أساسياً في دعم المشروع الصهيوني كما فعلت بالنسبة لأفريقيا الجنوبية : فقد كانت مسؤولة في نفس الفترة عن قانون اتحاد افريقيا الجنوبية لسنة ١٩٠٩ ، ومسؤولة عن تصريح بلفور (وزير حارجيها) ، الذي أعطى الشرعية للاستعمار الاستيطاني في جنوب افريقيا وفي فلسطين على حد سواء .

ان المقترنات الصهيونية لم تنتصر على الالتزام بالدفاع عن مصالح الدول الامبرالية بالشرق الاوسط ، بل التزمت دائمًا حتى بخدمة هذه المصالح داخل هذه الدول نفسها . فها هو ذا هرتزل يصرح لدوق بادن في رسالة موجزة في أبريل ١٨٩٦ : "اود أن أثير انتباه جلالتكم الى انعكاسين اثنين مباشرين لحركتنا : فمن جهة ، ستهودي الهجرة اليهودية الى اضعاف الاحزاب الثورية ، ومن جهة ثانية ، ستحد من قدرة هذه الاحزاب على مواجهة القوى الدولية" (٢١) .

يشكلونها في القريب . انهم يتکيفون بسهولة وبسرعة مع أية حضارة متقدمة على حضارتهم تأتهم من الخارج . فلا يمكنهم أن يتوحدوا لينظموا المقاومة ، وليسوا مستعدين لمواجهة المنافسة الوطنية . انهم سيتدمرون اقتصاديًا وتفاوتاً مع من سينظم البلاد ويتطور قواها الانتاجية ، أى اليهود بطبيعة الحال" (١٦) . لكن على العكس من هذا التصور ، فإن حضارة الشعب الفلسطيني وعلاقاته بالمحيط الدائر به ، هي التي ستحول بالضبط دون القضاء عليه من طرف الصهيونية وشرعيته الى الابد .

فمنذ أن تبلورت الحركة الصهيونية عداه موئتم بال ، ومنذ أن بدأت فكرة الدولة اليهودية تطرح بشكل جدي : "رفض سكان فلسطين بحزم المشروع الصهيوني الرامي لإقامة دولة اسرائيلية في بلادهم ، لأنهم كانوا يرون في هذه الدولة خطراً على حقوقهم ومصالحهم الوطنية" (١٧) .

فخلال الانتداب البريطاني ، وكذلك أثناء العهد العثماني ، قاوم الفلسطينيون باستمرار المشروع الصهيوني وواجهوه بمختلف الوسائل النضالية: بدءاً من حركات الاضراب ، مروراً بالجمعيات السياسية ، ووصولاً الى الكفاح المسلح .

"من الأكيد أن الحذر ازاء الحركة الصهيونية قد ظهر قبل تصريح بلفور وبأن مقاومة هذه الحركة كانت موجودة قبل الحرب العالمية" (١٨) . فالشعب الفلسطيني ، اذن ، ناضل بكل الوسائل والامكانيات ، لاحباط المشروع الصهيوني . واذا كانت الصهيونية قد تمكنت من فرص تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧ ، من خلال الامم المتحدة ، فإنها فشلت في تحقيق حلم أساسى راهنت عليه باستمرار ألا وهو : تشريد الشعب الفلسطيني وتذويقه من خلال هذا التشريد ومن خلال ذوبان الشخصية الفلسطينية داخل المجتمعات العربية المحيطة بفلسطين . غير أن هذه المراهنة فشلت ، فيبعد أزيد من ثلاثة سنين ، لا زال الفلسطينيون مساجدون ، بل أكثر من ذلك ، بلوروا تعبيرهم السياسي - النضالي الوطني ، وطوروا قدراتهم المسلحة .

ج) الدور الامبرالي والتبعية للخارج .

ان القاسم المشترك الاساسي بين الصهيونية من جهة ، والحركات الاستعمارية الأخرى من جهة ثانية ، يمكن في كون هذه الحركات كنتاج للنظام الرأسمالي الامبرالي نفسه ، لا تخلق واقعاً استعمارياً فحسب ، بل تعطيه بعداً

لقد انطلقت الصهيونية اذن، منذ البداية على أساس عنصري استعماري وخططت للدولة اليهودية كقاعدة أمامية للامبريالية لضرب تطلعات الشعوب وسحقها، وأساساً تشريد الشعب الفلسطيني، وتصفيته من الوجود كشعب وكهوية حضارية.

الهؤامش

- (١) لبين: "ملاحظات نجدية حول القضية الوطنية"، دار التقدم، موسكو.
- (٢) ح. صرى: "تاريخ الصهيونية من ١٨٦٢ الى ١٩١٧"، مركز الاحاسن، القدس، ١٩٧٧.
- (٣) سو يورك تايمز، ٢١ عشت ١٩٤٣.
- (٤) ح. صرى، مصدر سق ذكره.
- (٥) نفس المصدر.
- (٦) نفس المصدر.
- (٧) نفس المصدر.
- (٨) م. ليفيتن: "مذكرات هرتزل الكاملة"، سو يورك.
- (٩) نفس المصدر.
- (١٠) نفس المصدر.
- (١١) صوم اسحاق: "الحركة الصهيونية في روسيا"، القدس، المكتبة الصهيونية، ١٩٧٤.
- (١٢) د. سليمون: "اسرائيل وسكانها"، دار النشر الجامعية الفرنسية، ١٩٧٧.
- (١٣) احصائيات اللجنة الانجلو - أمريكية، المطباع الحكومية بفلسطين، ١٩٤٦.
- (١٤) يوسف ويتز: "مذكرات"، مطابع ماسادا، اسرائيل، ١٩٧٣.
- (١٥) نفس المصدر.
- (١٦) سير برکوف: "الازهار"، تل أبيب، ١٩٥٥.
- (١٧) د. أنس صایع: "الهاشمون والقضية الفلسطينية"، ١٩٦٦.

الاسرائيلية ضدنا في المناطق الفلسطينية المحتلة، وستنسون ان تتناسون انفسكم. اقترح، ايها السادة، استنكار ممارسات انظمتكم القمعية ضدكم وضد شعوبكم، كما واقتراح المطالبة بالحد الادنى من الحقوق البشرية في الربع الثالث من القراء العشرين، نصف المشاركين هنا من المبعدين او المهاربين من قمع أنظمتهم. طالبوا بحرية التعبير، بحرية المعتقد، بحرية الكلمة. طالبوا بممارسة الديمقراطية الحقة .. بعدها سيسهل عليكم تحريرنا. اما وان طالبوا بتحريرنا وانتم مستعبدون، فمن المستحيل ان يتم ذلك. اسألوا انفسكم عن زملائكم الكتاب والادباء، المطاردين في كل الاقطارات العربية، ومن قبل انظمتها القمعية ضد الكلمة الحرة الشريفة، ضد محترفيها. وانا في طريقى لحضور المـوتمر، التقيت احد الناشرين العرب الذين شاركوا في معرض الكتاب العربي الفا نسخة. الف نسخة لمائة وخمسين مليون عربي، اى ان كل ٧٥ الف عربي لهم نسخة واحدة من كتبكم ايها السادة.. اليست هذه مصيبة؟ ونحن في الاراضي المحتلة، رغم القمع والاحتلال، نطبع من اتفه كتاب ليس اقل من ثلاثة آلاف نسخة، واحيانا يزيد عن ذلك بكثير. باختصار، انتم ايها الزملاء، والافاضل، تعيشون في الرابع الاخير من القرن العشرين الوسطى.

وبعد، ايها الزملاء،

معدرة ان كنت قسوت عليكم، ولكنني اتحدى من شدة الالم ليس الا. لقد جئت من الارض المحتلة، الذين يكتبون في اشد الحالات قسوة وقمعا، ورغم كتاب وأدباء، الارض المحتلة، الذين يكتبون في اشد الحالات قسوة وقمعا، ورغم ذلك، فقد نجحنا في تأسيس اتحاد للكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة ينضوي تحت لوائه كل الكتاب والادباء في الضفة الغربية وقطاع غزة من الجيل الذي تفتحت عيناه على الاحتلال، فحمل كلمة ليناضل مع ابناء شعبه الفلسطيني. ونحن نؤكد لكم ان لدينا اليوم حركة ثقافية وأدبية فلسطينية في الارض المحتلة، تتميز بوعي وطني وقومي عال، وتخطي طريقها بكل ثقة وامل، نحو بلورة حركة ثقافية وأدبية فلسطينية وطنية تقدمية، تسهم بحق في ترسیخ وجود شعبنا الفلسطيني على تراب وطنه، وندرك تماما ان الفلسفة الصهيونية، تسع الى طمس الهوية الفلسطينية، وتذويب شخصيتنا القومية، وبالتالي، فان مهمتنا الرئيسية تتركز في تكريس واقتنا الحضاري والتراشى، نستلزم من جذورنا الحضارية الاصيلة كل ما يساعد على تعزيز وجود شعبنا الفلسطيني، وترسيخ هويته

في المـوـتمر الثالث عشر
لكتاب وأدباء الوطن العربي في عدن



اسعد الأسعد

من المستحيل ان تطالبوا بتحريرنا وانتم مستعبدون

ايها الزملاء،
جتكم من الارض الفلسطينية المحتلة، لا لاشك واتوجه، بل لاضعكم في الصورة، عساكم تحسون بمعاناة اخوانكم وزملائكم هناك.
ان الكثريين منكم، ايها الزملاء، وبكل اسف، أصبحوا عبدة انظمة خديدة سلاطين، وكتاب بلاط، ومن لم يكن كذلك، يلاحق ويقتل، او يعتقل او يشرد في المنافي. لقد قلتكم الكثير، واعطيتم المجال للحديث مرات ومرات، ولم نعط الكلمة ولو مرة واحدة، فدعوني أتحدد بصفاً، ومن لم يعجبه حديثي، فليحرض سلطانه، عساه يحرر الضفة الغربية المحتلة.. ويعتقلني، وينصب لي مشنقة عندي!

نحن، ايها السادة، في المناطق المحتلة، نعاني من الاحتلال واحد، وهو الاحتلال الصهيوني. وانتم تعانون من اثنين وعشرين احتلال. كل الانظمة بلا استثناء، تمارس شکلاً، بل اشكالاً من الاحتلال على شعوبها العربية. كتبكم التي تكتبون، لا فرق بينها وبين الاحدية او اى بضاعة اخرى، يجب معرفة مصدرها وصانعها، ومفادها الاساسية، ومفرداتها، ثم ينظر في تصريح دخولها. عذراً، ايها الزملاء، قد يكون في ذلك اساءة لكم، ولكننا في الارض المحتلة لم نعد نخشى شيئاً، وليس بعد الكفر ذنب.

وليصال كل من شارك في هذا المـوـتمر نفسه، ترى لو لم ينافقه سلطانه، هل كان من الممكن ان يشارك في هذا المـوـتمر؟ هل كان من الممكن ان يعيش في سلطنة سيد؟.. اجيبيوا بموضوعية ولو بينكم وبين انفسكم، غداً ستتصدر قرارات موـتمركم عبارات الاشادة والتحية لهذه الأنظمة، وستستنكرون الممارسات

القومية والوطنية.. ونتحسن بصدق العلاقة الجدلية بيننا وبين جماهيرنا الفلسطينية. هذا، وقد بدأنا بتنفيذ اهم فاعلية لاتحادنا باقامة المهرجان الوطني الاول للادب الفلسطيني في الارض المحتلة، الذى عقد في مدينة القدس في منتصف شهر آب الماضي ، واستمر اربعة ايام متتالية، وكان له صدى فاق كل التوقعات . اننا في الارض المحتلة نعتبر وحدة شعبنا الفلسطيني ووحدة لا يمكن ان تفصل بينها فواصل مهما كانت ، كذلك ، فاننا نعتبر انفسنا نحن كتاب وادباء الارض المحتلة ، جزءاً من مجلد الحركة الثقافية والادبية الفلسطينية.

واود ان اوكل لكم ان اتحادنا اليابع، يقف الان قلباً وقالباً في وجه كل المخططات الرامية الى الغاء وتدويب وطمس شخصيتنا الفلسطينية المستقلة، ونحن وحدة واحدة تجمعنا وحدة الهدف ووحدة المصير . ولقد صادقنا على الخطة السنوية لاتحاد ، قبل حضورى الى هنا . ومن جملة ما صادقنا عليه، طبع ما معدله كتابين في الشهر، وعقد ندوة موسيعة شهرية ، وأخرى لعرض ومناقشة كتاب محلي كل أسبوعين ، بالإضافة الى اقامة حفل تأبين لشهيدنا العظيم ماجد ابو شرار، ثم التحضير لاقامة مهرجان احتفالي كبير تخليداً له ولذكراه . كذلك دراسة وضع خطة تخصص بموجبها جوائز سنوية للقصة والشعر والبحث والرواية على اسم شهداً الثقافة الفلسطينية ، وما اكثراهم . وما بعدهم من كثير .

ايها الزملاء ،

قد يعتقد البعض اننا نعيش في بحبوحة ، لكن القمع عندنا اشكال والوان ، فمجموع الكتب الممنوع تداولها بموجب اوامر عسكرية ، بلغت حتى الان ٢٧٨٨ كتاباً . هناك ايضاً تغيير في المناهج الدراسية . هناك اغلاق المكتبات ومصادرة آلاف الكتب ، وآخرها اغلاق مكتبة "شروق" برام الله ، والتي تخضى ، والتي مضى على اغلاقها اكثر من ثلاثة اشهر (منذ ٨١/٧/٦) ، كذلك الاعتقال المستمر للكتاب والمثقفين والصحفيين ، وآخرهم اكرم هنية رئيس جريدة "الشعب" ، كذلك منع الصحف من الصدور ، كما هو حاصل الان مع جريدة "الفجر" ، التي اغلقت لمدة شهر ، كذلك منع التوزيع في الضفة والقطاع .. كما هو حاصل منذ اربعة سنوات وحتى الان ، مع صحيفة الطلبة القدسية ، كذلك اغلاق الجامعات كما حدث مع جامعة بير زيت التي اغلقت مدة شهرين تمتد من ٨١/١١/٤ وحتى ٨٢/١/٤ ، وغير ذلك .

اخيراً ايها الزملاء ، لكم من كل زملائكم في الارض المحتلة كل محبة وتقدير ، والتمنيات لموتمركم بالنجاح والتوفيق .